تمثال عنترة

ياسين طه حافظ

هذه الشجرَات الكبيرةُ تأخذني لعواملها
أنحني متعباً، أتلمّس بعض العزاء
بأفيائها
وأحاول أن أستعيرَ من اللّه في الظلِّ
جملةَ شعرٍ، فتأتي مضبّبةً وتعودْ.
كلّ هذي الوعود
انتهتْ، كلّ هذي الرؤى
خلّفت لي أسىً غائماً
واختفتْ.
وبقيتَ أمامي وسيفك في الريحِ
تُضحِكُني
وتعذّبني
كم مضى بيننا؟
ألفُ عام؟ وها نحن مقتربان تكادُ
يدي أن تمسّ النحاسَ الذي صرتَ
وصار إليه الحصانُ الذي كان
يستبق الريحَ كي لا يُهانْ.
أتأمّل حالك،
لا من طعنٍ ولا من طعانْ
تتجمّد وحدك، ملّكَ سرجُكَ،
هلاّ ملأتَ المكانْ؟
سابحٌ جامدٌ في الزمانْ
والغبارُ على مقلتيكَ، وذرقُ
العصافير فوق الحسام الذي كانَ
برقاً، وغصنٌ يبيسٌ رأى سنداً
في اللجامْ.
ليس غير الضجيج الذي يسخر الآن
منك وغير صفير «شرطيّ المرور»
الذي لا يهمّه أمثالك الميتونْ.
إلى أين تمضي على أدهم في الهواءِ؟
ابتدرْها! فلا عبلةٌ بعدُ تَبَسَّمُ
لا السيفُ يلمع، لا كاسبٌ جولةً
في الخراب الكبيرِ ولا خاسرٌ في الرهانْ.
هل تصول بسيفك؟ ما ينفع الهندوانْ؟
لا يَهُمَّ ولا يزجر الطيرَ ولا يدفع
عنه شتائم سكران يلعن كلّ السيوفِ.
وفرسانَها، والقتال وكلّ المعارك
بعد انقشاع الغبار نكاتٌ مكرّرةٌ
وأحاديث تافهةٌ علِقَتْ في الزّمانْ.

بغداد